الفصل التاسع

الوسيلة الملائمة

أفكار حول طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ والحياة

شعرت مرتين فقط في حياتي وكأنني أقع في شرك فتجحظ عيناي وينحشر قلبي عند حلقي، ويضطرب كل شئ فأشعر بأنني أذهب إلى المجهول.

حدث ذلك أول مرة منذ خمس عشرة سنة عندما شاهدت علامة "+" في تحليل الحمل وكان زواجي قد انتهى بمدى طويلة ولم يخلف لي سوى التوتر والقلق. والمرة الثانية كانت بعد ذلك بحوالي عشر سنوات عندما اتصل طبيب والدتي الجراح وقال :

- آسف يا سوزي .. إن ثمة خطبًا ما ...

من الطبيعي أن يستقبل بعض الناس المولود الجديد بهدوء شديد ويواجهون فقدان شخص عزيز لديهم بأسلوب رزين ومتزن. لكن بالنسبة للكثيرين منا، وفي معظم الأوقات، يمكن أن تجعلنا أوقات الولادة أو الموت نركع بكل ما تتضمنه الكلمة من معنى. كما يمكن أن تنزع التوازن من تفكيرنا وحياتنا، فلا نرى سوى الخوف والاضطراب. وغالبًا ما يظهر كل ذلك ويتجسد في قراراتنا.

في اليوم الذي اكتشفت فيه حملي، اتخذت أحد أخطر القرارات المكلفة في حياتي. فلكي تستمر حياتي كما هي، ولكي لا أشعر وكأن شيئاً غريبًا قد حدث في بيتي. فقد قلت لنفي وأنا أشعر بالرعب والفزع : " إذا ولد طفلي الجميل وسط أسرة عادية، إذاً فلن يكون أمامي خيار آخر".

لقد ظللنا على مدى خمس سنوات ونحن جميعًا ندفع ثمناً باهظاً جراء القرار العنيد الذي كنت قد اتخذته بالحفاظ على زواجي إذ كانت الأسرة كلها تتألم بصورة بطيئة. واليوم، حيث أصبحت أكبر سناً وأكثر حكمة وعقلاً، أعلم تمامًا أن طريقة ١٠- ١٠- ١٠ كان يمكن أن تتدخل في علاقاتنا نيابة عنا.

لأن طريقة ١٠- ١٠- ١٠ تتميز بدور هام في البداية والنهاية عندما تصل عواطفنا إلى قمة الوهن، ويصل تفكيرنا إلى أقصى مرحلة من مراحل الضعف، عندما يولد طفل أو عندما يموت شخص عزيز، يتوقع الجميع ألا شئ سيعود كما كان عليه من قبل. في مثل تلك الأوقات، يمكن لطريقة ١٠- ١٠- ١٠ أن ترشدنا نحو المستقبل الجديد ... المستقبل الذي نسعى إلي بنائه عن عمد.

إما أن أملك أو لا أملك

يمكن أن يبدأ الشوق المتلهف إلى إنجاب طفل قبل أن يبدأ الحمل نفسه. ويتحقق ذلك بمجرد أن يتخذ القرار بالإنجاب. وبعد ذلك تبدأ العلاقات في التحول والتغيير، ثم تطفو عدة أسئلة على السطح : إلى مدى سنكون ملتزمين ؟ ما نوع الحياة التي نرغب فيها ؟ ما الدور الذي ستلعبه علاقاتنا في حياتنا ؟ ما مدى الحرية التي يطلبها كل منا ؟

منذ بضع سنوات بعد أن أدليت بحديث عن طريقة ١٠- ١٠- ١٠ لمجموعة من دارسي درجة الماجستير في المحاسبة، اقتربت مني امرأة في أوائل العشرينيات من العمر اسمها "بام". كانت تعمل مديرة بإحدى شركات الحاسب الآلي وتدرس لدرجة الماجستير بالفترة المسائية. كانت ترتسم على أساريرها إمارات القلق. وقفت بجانبي وطرحت سؤالاً قائلة :

- هل يجب أن أنجب الآن ... أم أن أنتظر حتى أحصل على الترقية بعد مرور عامين ؟ ..

انخفض صوت"بام" وروت لي – وكأنها تهمس في أذني – عن كل الظروف التي تبدو في غاية التعقيد والتي تقف حجر عثرة أمام اتخاذها للقرار. يريد زوجها - وهو شريك في أحد المطاعم اليونانية الذي تملكه العائلة - طفلاً بأقصى سرعة ويؤمن بأن واجب الأم هو البقاء في المنزل مع أطفالها. ولكن " بام " تحب عملها كثيراً، وتحلم بمكانة عالية في مهنتها ،كما أنها غير متأكدة إن كانت ترغب في طفل أم لا. قالت لي " بام " :

- كنت أتمنى لو كنا ناقشنا هذا الموضوع قبل زواجنا ... لكننا كان يربطنا معاً حب كبير ...

تنهدت " بام " بصورة جعلت اليأس الذي يتملكها واضحاً للعيان، ثم قالت لي مستفسرة :

- ماذا تقول طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ ؟

ذكرتها بأن إحدى عمليات طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ تبدأ بدراسة مستفيضة للقيم

الشخصية الخاصة، فردت قائلة :

ـ حسناً .. أعرف القيم الخاصة بي جيداً . إنها ليست نفس قيم " ثيو " أو حتى والدته أو والده أو شقيقته .. لن أستمر في أن أنجب أطفالاً ثم ينتهي بي الأمر إلى أن أعمل وأنا جالسة على آلة الصرف النقدي ...

في تلك اللحظة كانت " بام " تعي تماماً أن الخلاف والجدل الدائر في أو ساط العائلة ما هو إلا عرضاً من أعراض مشكلة كبيرة قادمة. كما كان يعي كل منا أن قرارها القائم على طريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠ كان جاهزًا فعلاً. ولكنها تسعى إلى التحلي بالشجاعة حتى تستطيع تنفيذه.

كل شيء يتم بتوقيت محدد

من الواضح أن كل زوجين يتفقان على مجموعة من القيم. ومع ذلك فربما يختلفان حول الموعد المناسب للإنجاب. ربما تتذكر "أجيثا " و" روهان ". لقد كانا متشوقين لإنجاب طفلهما الثاني بمجرد أن استعادا علاقتهما الزوجية مرة أخرى من خلال استخدام طريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠. ولكن عندما قام بتحليل الموقف مرة أخرى باستخدام نفس الطريقة بدا لهما من الأفضل عدم اتخاذ مثل هذا القرار. أخبرتني "أجيثا " بذلك حيث قالت :

ـ في إطار الدقائق العشر، شعر كل منا بأن إنجاب طفل جديد يمثل رمزاً لاستعادة علاقتنا بصورة قوية ... وهذا الشعور جعلنا على مقربة من اتخاذ القرار .. فقد قلنا لأنفسنا : هيا ننجب طفلاً الآن ...

ولكن عندما نظر الزوجان إلى إطار الشهور العشرة، والى سيناريو السنوات

العشر، أدت أهدافهم المهنية وتحديات العمل إلى إحباط هذا الحماس. لقد قالت لي "أجيثا " بكل بوضوح :

- إن إنجابنا طفلاً في السنوات العشر القادمة سيكون أمراً في غاية الصعوبة ... فلا يرغب أحد أن يستغني عن وظيفته ...

الذهاب بمفرده

إن طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ أحياناً لا تساعد فقط في اتخاذ قرار بالإنجاب أو بعدم الإنجاب ، ولكن في اتخاذ قرار مفاده " ممن يجب أن يكون الحمل والإنجاب ؟ " .

بعد أن طلقت " جيري " - وتعمل طبيبة أسنان كنت قد التقيت بها وتعاملت معها لمدة عشره أعوام تقريباً - وأصبحت في سن الأربعين اعتقدت أنها تواعد الرجل المناسب. كان " ماج " مطلقاً أيضاً ولديه حكم قضائي برعاية ولديه المراهقين، ويعمل بوظيفة دائمة في مجال التعمير.

لكن بعد عام تقريباً، شرعا في الشجار. كان يحدث الشجار في البداية حول الأشياء البسيطة كالمواعيد مثلاً، ولكن بدأ الشجار يتزايد حول موضوعات أكبر بكثير كالشجار حول سلوك الأطفال مثلاً.

في النهاية وصلت العلاقة إلى مفترق للطرق بطريقة قد لا تتوقعها على الإطلاق. طلب ماج من " جيري " أن تقبل الزواج منه. وقد أخبرها بأن الالتزام أو التعهد القوي سوف يشجعان على حل كل المشكلات بينهما. وافقت " جيري " على الفور. مع ذلك، استمر الشجار بينهما.

ذات يوم سألتني " جيري " عما إذا كان يمكن أن أطبق طريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠ على أحد الأسئلة بالتعاون معها، وكان السؤال كما يلي : هل ينبغي عليها أن تقبل الزواج أم أن تنتظر لمدة عام حتى تتمكن من ترتيب وإعداد حياتها القادمة ؟

كان استخدام إطار الدقائق العشر يمثل صعوبة لدينا خاصة عندما قالت " جيري " :

ـ فلتنس تلك الفكرة ... لابد أن أتزوج " الآن " ... لا يمكنني أن أنتظر أطول من هذا لإنجاب طفل ... أرغب في أن أكون أماً .. إنني على أتم استعداد .. إن هذا هو كل ما أرجوه وأتمناه في الحياة ..

حاولت أن أشجعها على النظر إلى سيناريو السنوات العشر، فبدت مندهشة للحظات، ثم أجابتني قائلة :

ـ لا فائدة ...

لأن " جيري " كانت تعيش مستقلة لفترة طويلة، لذا فدائماً ما تحتاج إلى أوقات تبقي فيها بمفردها. علاوة على ذلك، لأنها أصيبت بالإحباط مرتين من قبل فإنها لم تعد تثق في أي شئ خاصة فيما يسمي بالالتزام. لقد اعترفت لي ونحن نستخدم طريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠ سويًا بقولها :

- أرغب في أن أكون مسئولة عن حياتي الخاصة.... مع عدم وجود أي شخص يمتلكني أو يمتلك حياتي .... إن " ماج" يتخيل صورة معينة للزواج ... وأنا أتخيل صورة مغايرة ... ولا يمكن أن أقوم بتربية طفل في ظل ذلك ...

بكل أسى وأسف قررت " جيري" قطع علاقتها " بماج" وهي اليوم تبحث عن خيارات جديدة تتعلق بحياتها كامرأة غير متزوجة تألف الوحدة.

عفريت هرمون الشر

كنت أعمل مستشارة إدارية لدى مؤسسة بين وشركاه لمدة ستة أشهر، وذات يوم دعاني رئيسي " آندي " إلى غرفة الاجتماع وطلب مني أن نقوم سويًا بمراجعة عملي. ورغم أن " آندي " كان رئيسًا رائعًا إلا أنه كان صديقًا ممتازًا، حتى قبل أن يبدأ الاجتماع ذكر لي أنه سعيد بعملي.

سار النصف الأول من الحوار على ما يرام وكما كان متوقعًا، ولكن بعد ذلك بدأ "آندي" يذكر ويعدد لي أساليب الأداء التي كان ينبغي أن أعمل على تحسينها. على سبيل المثال، قال لي إنني أضيع وقتي في الاهتمام بالناحية الجمالية التي تسود جميع شرائح العمل ببرنامج باور بوينت. ولكني رددت عليه قائلة :

- وما الذي يهمك في هذا ... لم تدفع لي المؤسسة راتبي بالساعة ...

اندهش " آندي " لما قلت، ولكنه اعتبر هذا الرد نوعًا من المزاح، ثم قال :

- ثمة شئ آخر يجب أن تعيدي تفكيركِ فيه وهو اعتمادكِ على تحليل الانحدار ... هناك أدوات ووسائل أخرى بالكمبيوتر يمكن استخدامها أيضًا ... بل وتعتبر أكثر ملاءمة ...

فقاطعته بغضب وأنا أقول له :

- هل لديك مشكلة مع تحليل الانحدار ؟ ... في اعتقادي أن هذا الأمر غريب

بالنسبة لشخص تعلم وتدرب ليكون مهندسًا ...

اجابني " أندي" متحليًا بالصبر وقد فهم جيدًا ما أرمى إليه قائلاً :

- دعينا نكمل هذا الحوار فيما بعد ... إنك تبدين وكأنك لست على استعداد لتقبل أية اراء اليوم ...

فقلت له بنبرة مؤثرة :

- لقد اعتدت على ذلك ... وتلك هي سوزي الجديدة ...

لقد كنت حاملاً، وبينما أحاول أن أعمل على تنقية مزاجي، تدخل الاجتماع مع "اندي" وكأنه عفريت هرمون الشر الذي قام بغزو جسدي في لحظة الحمل. يمكن لهذا العفريت أن يصاب بالجنون عندما يولد الطفل.

لا اتحدث عن موضوع طبي الآن مثل اكتئاب ما بعد الولادة الحاد الذي يمكن أن يسبب الإحباط لعديد من الأمهات المستجدات في الأمومة. مثل تلك المواقف إنما تتطلب استشارات مهنية أو تدخلاً علاجياً.

كلا، إنني أتحدث عن جنون الطفل بالمعني الدارج. أتحدث عن جنون يجعلك تتفوه بما يسبب جروحاً لغيرك من الناس الذين يهتمون بك ويشجعونك على اتخاذ قرارات وكأنك ستموت غداً. أتحدث عن جنون الطفل الذي ينبع من افتراض يزعم أن الشيء الصواب لابد أن يتم الآن، في هذه اللحظة، ويوحي بأنك مرهق ومتكاسل، وأن المنزل ما هو إلا فوضى عارمة، ولا يوجد من يمد لك يد المساعدة، وأن طفلك لا يسلك سلوكاً صائباً أبداً. إنني أتحدث عن هذا النمط من الجنون.

والطفل يمكن أن يعادل ثلاثة

اشتاقت " بيثاني " لأن تنجب طفلاً لفترة طويلة. وعندما حملت كانت طوال فترة حملها في غاية السعادة، فكانت تعد مهد الطفل وترتبه، كما تعد غذاءً عضوياً منزلياً له. كانت هي وزوجها " جون " يشعران بقيمة السرور لأنهما قد اتفقا على أن تتم الولادة بالمنزل على يد " قابلة " ولن يكون هناك تدخل جراحي.

لكن الزوجين كان عليهما تعلم أول دروس الأبوة وذلك عندما اضطرت " بثياتي " إلى الالتحاق بمشروع عمل لمدة ثلاثة أسابيع وذلك قبل موعد ولادتها. ولكن كل وليد له خططه التي تختلف عن خطط الآخرين !! لقد تمت ولادة " سانتياجو " داخل قسم العمليات القيصرية بالمستشفي !!

عندما عادت من المستشفي إلى منزلها، اكتشف أن كل شيء تقريباً لم يتم حسب الترتيبات المسبقة، فلم تتمكن من أن تجعل " سانتي " يتعلق بصدرها أثناء الرضاعة فاضطرت إلى أن تلجأ إلى استخدام الزجاجة. عندما بلغ " سانتي " سن ستة أسابيع، كان ينام طوال النهار، ويسهر ليلاً لكي يلعب. عندما شعرت " بيثاني " بالإنهاك أصيب " سانني " بنزلة برد ووصف له الطبيب دواءً عبارة عن نقط كان لابد أن توضع له " بالقطارة " كل ساعتين.

اتصلت " بيثاني " بزوجها في عمله لتقص عليه ما يحدث فقالت له :

ـ أريدك أن تأتي إلى المنزل فوراً لأني أحتاج إلى النوم بشدة ... أتوسل اليك ... ولكي أتمكن من السهر الطفل ليلاً ...

التزم "جون " الصمت لدقيقة ثم قال :

ـ إذاً لن تأتي معي .. ألا تتذكرين .. عطلة نهاية الأسبوع .. سيقام حفل زفاف جوليا وجريج ...

حدثت نزاعات بين الزوجين بسبب إصرار الزوج على حضور حفل الزفاف. عندما جاءت والدة " بيثاتي " لزيارتها وعلمت بالمشكلة، ألحت عليها أن تستخدم طريقة ١٠ ـ ١٠ ـ ١٠ في هذا الموقف الذي يستدعي ذلك. ثم قاماً سوياً بصياغة السؤال كما يلي : هل يجب على " جون " أن يحضر الزفاف ؟

خلال عشر دقائق، شعرت " بيثاتي " بأن الاعتناء " بسانتي " بمفردها في ذلك اليوم سيشكل عبئاً ثقيلاً لن تستطيع تحمله. فقامت والدتها تعرض مساعدتها لها لكن "بيثاتي" قالت لها :

ـ لا يمكنك البقاء هنا لمدة أربع وعشرين ساعة يومياً ... إن أبي في حاجة إليك ...

لكن والدة " بيثاتي " نصحتها بأن تتخيل عطلة نهاية الأسبوع دون وجود " جون " معها. ألم يكن هناك أي سيناريو يبدو منه غياب " جون " لا يطاق ؟ أجابت "بيثاتي " بالنفي. في إطار الشهور العشرة كان السؤال الذي طرحته والدتها هو : ما الذي سيحدث لو بقي " جون " في هذه العطلة ؟ هناك توقعت " بيثاتي " أنها في حالة ما إذا طلبت من " جون " أن يبقي في المنزل وألا يذهب إلى حفل الزفاف فلن يخفي استياءه أبداً. وعلى عكس ذلك، إذا ما تركته يذهب إلى الحفل فربما يجدد ذلك طاقته ونشاطه فيستطيع أن يمد يد المساعدة لزوجته خلال الأسابيع أو الشهور القادمة.

ثم تحولت " بيثاتي " ووالدتها إلى إطار السنوات العشر. ولكنها حاولت أن تستبعد تلك الفكرة قائلة : إن الفترة الزمنية طويلة جداً ولا تعني لنا شيئاً .. ساعتها سيذهب سانتي إلى المدرسة .. سيكون لدينا أطفال آخرون .. سيكون كل شيء عادياً ... ثم إن هذه الأزمة ستصبح مجرد ذكري من الذكريات القديمة..

بينما دق جرس التليفون، طرأت لها فكرة، ولكنها ذهبت للرد عليه لأن المتصل كان " جون ". كان " جون " يعرض الموضوع مرة أخرى ، فردت عليه " بيثاتي " قائلة :

ـ لقد واتتني فكرة ... لم لا نذهب معك ؟ كل فرد هناك يود أن يرى سانتي ... ويعلم الله أنه سيظل ساهراً معنا طوال الليل ليرقص ...

فرد عليها زوجها وقد غمرته الفرحة :

ـ تعجبني تلك الفكرة ...

شعرت " بيثاتي " أيضاً بالسعادة الغامرة، فلقد تغيرت حالتها النفسية والانفعالية ولكن حدث ذلك بمساعدة طريقة ١٠ ـ ١٠ ـ ١٠ . فقد بدأت ترى وتشعر كيف يمكن أن تتغير الأمور وخاصة إذا ما حاولت أن تستثمر تلك الطريقة لتعيش حياتها في كل لحظة، وكل يوم، وكل شهر وكل عام.

من الحضيض إلى القمة

يبدو أنني أعاني من فقدان الذاكرة. إن أكبر أبنائي يبلغ من العمر الآن عشرين عاماً والابنة الصغرى تبلغ أربع عشرة سنة. ويبدو أنني نسيت أن تكوين حياة

جديدة لا يمكن أن يتم بالبساطة التي قد يتخيلها الكثيرون. وربما تكون هذه مجرد وجهة نظر لي فقط.

عندما كانت " صوفيا " طفلة صغيرة، كانت سهلة المراس إلى درجة أننا كنا نسميها " بوذا " الصغير. لم تسبب لنا جلبة أبداً. ولم تبك أو تصرخ أبداً. وكانت تنام في الليل عندما كان عمرها أسبوعين. وعندما بدأت تسلك سلوك الكبار، كانت دائماً ما تنظر إلى باحترام شديد وبابتسامة حالمة وكأنها تقول لي : " إنك لطيفة يا أمي .. ".

لكنها استطاعت فعلاً أن تستعيض عن الأيام التي كانت تضعها وهي في سن المراهقة، نعم استطاعت ذلك. ففي سن الخامسة عشرة كانت غريبة الأطوار حيث كانت تمنعني من أن أمس أي شيء يخصها إلى درجة أنني جلست يوماً على الأريكة بحجرة المعيشة أبكي لمدة ساعتين متصلتين. ومع ذلك، فقبل سن السابعة عشرة عادت سيرتها الأولى وأصبحت " بوذا " مرة أخرى، فكانت طالبة متزنة ولطيفة، وصديقة دائمة، وابنة ناضجة وحبيبة.

كانت " إيف " أكثر الأطفال فظاظة، وكانت نكدة وسريعة الغضب كما لو أن كلمة "فظة" قد خلقت لها. أما " آبي " الكلب اللطيف فلا يميل إلى الغضب. لقد كانت اللحظة الوحيدة التي أظهر فيها غضبه هي عندما عض" إيف" في وجهها. وعندما كنا في غرفة الطوارئ بالمستشفى لكي يخيط الجرح، سألتنا الممرضة إن كان الكلب يشكل لنا مشكلة، فأجبنا بالنفي.

منذ بضع سنوات، أشركت صديقتي"ماربيث" ابنها "رايان "وابنتها " كارولين" في

دروس للتنس وذلك لأن"رايان" كان يبدو رياضيًا واعدًا ولأن" كارولين" لم تذهب إلى أي مكان بعد انتهاء المدرسة كل خميس.

ذات يوم، عندما كانت تنتظر في صالة الانتظار لحين انتهاء درس التنس، نظرت"ماربيث"من فوق الجريدة التي كانت تقرأها لتجد مدرس التنس وهو يدق على نافذة سيارتها بخفة، ثم سألها :

- هل أنت أم كارولين ؟ .. ظللنا ننتظر دخولك لفترة طويلة ...

قالت"ماربيث" ويكاد قلبها يسقط في قدميها :

- هل ثمة مشكلة ؟ .. هل هبطت كارولين إلى فريق المبتدئين ؟ ...

أجاب المدرس مشمئزًا :

- هل رأيت ابنتك من قبل وهي تلعب التنس ؟ ...

اليوم تم تصنيف" كارولين" ضمن أفضل ستين لاعب تنس في الولايات المتحدة تحت سن الثانية عشرة.

عندما يرخي الظلام سدوله

ذات يوم من أيام ربيع العام الماضي، كنت أقوم بتوصيل"روسكو" إلى عيادة طبيب العيون حسب الموعد المحدد شمال بوسطن. كانت أغنية " كولد بلاي" تذاع في الراديو عندما رن جرس هاتفي المحمول. كان"جاك" هو المتصل وكان ينتحب لأن صديقاً له صغير السن وممتلئا بالحيوية قد توفى على إثر أزمة قلبية.

انعطفت بالسيارة عند أول مخرج بالطريق وعدت إلى البيت. صعدت السلم

مسرعة، لكي أطمئن على"جاك" عندما اعترضت سبيلي مساعدتي وقالت لي :

- سوزي .. إن لدي أخبارًا سيئة ...

صرخت في وجهها قائلة :

- لقد علمت .. إن جاك ...

فقبضت على يدي بشدة وقالت :

- ليست الأخبار عن تيم .. بل عن فاليري ...

صدمني ذكرها لاسم صديقتي القديمة فوقفت دون حراك. ثم قالت المساعدة لتوضح لي ما حدث :

- لقد كانت فاليري تقود سيارتها .. و .. آسفة ... آسفة ... إنهم ليسوا واثقين إن كانت ستعيش ... إنها حادثة مروعة ...

فقلت :

- بل ستعيش .. إنها في نفس سني .. كما أنها قوية ...

ولكن للأسف الشديد، لم تكن" فاليري" قوية. ظللت لعدة شهور لا أستطيع أن أقود سيارتي بجوار حديقة منزلها. وإذا حدث ذلك أسائل نفسي : لماذا هي ؟ ولكننا يمكن أن نجد الإجابة في مصطلح واحد يعرفه الجميع؛ الموت.

التقى كل من" أليس"و"جيمس" في نيويورك في أواخر الثمانينيات. كانت هي عازفة مكافحة وكان هو فناناً مكافحًا. لم يتوقعا الزواج أبدًا حيث يعاني "جيمس"

من حالة قلق حاد تستهلك كمًا كبيرًا من طاقته ونشاطه، ولكن اكتشفت " أليس" أنها حامل. وبعد أن أنجبا " هوجو" بعامين تقريبًا أنجبت ابنًا ثانيًا وأسمته " ليو". عملت " أليس" معامة موسيقى لكي تساهم في مصروفات الأسرة، وكرس"جيمس"وقته كله في فن النحت.

قام كل منهما بتوفير مبلغ من المال وابتاعا دورًا علويًا خربًا في ضاحية بيتا باكنج وشعرا بالسعادة لهذا البيت الجديد. وقاما بشراء ثوب من القماش الشفاف الرخيص لعمل غرفة نوم لطفليهما. أحبت " أليس" مهنتها كثيرًا وشرعت في إعطاء دروس خصوصية في عزف الجيتار في عطلات نهاية الأسبوع، وكانت تشعر بقمة السعادة لأنها استطاعت أن تكسب قوت يومها. قالت لي " أليس" :

- كنت أعتقد أن العالم سيكتشف موهبة جيمس ...

كانت " أليس" على حق، فبعد عقد كمل تمكن "جيمس" من التوقيع لشركة كبرى متخصصة في المعارض الفنية وبدأت أعماله ترى النور وتباع بصفة مستمرة. أما "أليس فتركت وظيفتها وكان عمر طفليها حينئذٍ عشر سنوات واثنتي عشرة سنة وانتقلت الأسرة بكاملها إلى قرية جرين ويتش. ورغم تحسن ظروف معيشة الأسرة كثيرًا إلا أن "جيمس" ظل يعاني من القلق. وعندما زاد ضغط الطلب على أعماله شرع في تعاطي علاج لحالته، ثم أدخل الكحوليات في العلاج.

ذات يوم توفي "جيمس" إثر تعاطي جرعة كحول زائدة عندما كانت " أليس " تتسوق داخل السوبرماركت.

بعد ستة أشهر من وفاة "جيمس" كان حساب الأسرة في البنك أقل من أن يفي بدفع

ثمن الرهن العقاري لمدة عام، فحزنت " آليس" على ذلك كثيرًا، ووجدت نفسها تساءل : ماذا أفعل ؟ فكرت كثيرًا في أن تذهب إلى جامايكا وتترك طفليها لشقيقتها وتخرج من حياتهما. ولكن لم تستطع أن تفعل ذلك. سقطت " آليس" راكعة على ركبتيها فوق رصيف الشارع وأجهشت بالبكاء.

اندفعت امرأة كبيرة في السن كانت تمشي بجورها نحوها وقالت لها وهي تجذبها من يدها لتعينها على الوقوف :

- هل أنتِ بخير ؟ هل أستدعي لكِ الإسعاف ؟

قالت" آليس" :

- أريد شقيقتي ..

أفاقت " آليس" لما قالت، فناولت المرأة هاتفها المحمول لتطلب رقم هاتف شقيقتها. قامت بعد ذلك " آليس" وشقيقتها بدراسة مستقبل الأسرة باستخدام طريقة ١٠- ١٠- ١٠ وكان السؤال : أين سنذهب انطلاقًا من هنا ؟

في عشر دقائق لا يستطيع أحد أن يدعي أن حال الأسرة سوف يتغير للأفضل. فالطفلان لا يفضلان أن يتركا أصدقاءهما وزملاءهما في المدرسة، ولا يرغبان في ترك المنزل الذي أسسه لهما والدهما. وأثناء الحوار، فجرت شقيقتها قضية ليست في الحسبان؛ فالموقف المالي للأسرة سيئ للغاية. ولكن " آليس" تذكرت أن "جيمس" قد ترك لها بعض الأعمال الفنية قبل موته، ويمكنها أن تبيعها، و يمكن أن تنتقل الأسرة إلى مكان أصغر.

عندما بدأ الحوار في الهدوء، تحدثت شقيقة " أليس" عن سيناريو السنوات العشر؛ ما نوع الحياة التي تتمناه الأسرة حينئذٍ ؟ عندما نظرت " أليس" لطفليها شعرت بأنهما قد نضجا. لذا ذكرت لهما بأن الأسرة يجب أن تغير حياتها. خلال العام التالي، قامت "أليس" ببيع بعض أعمال زوجها، كما عادت لوظيفتها مرة أخرى. وبعد مرور عام على وفاة "جيمس" قامت الأسرة ببيع الشقة وانتقلت إلى مكان أقل تكلفة.

بالرغم من مساعدة طريقة ١٠- ١٠- ١٠ " لآليس" وأسرتها، إلا أنهم جميعًا قد واجهوا لحظات مروعة من الحزن والأسى والكفاح المرير. ولكِن" أليس" لم تعد تسمح لنفسها أن تسبح في المجهول، ولن تسمح أن يكون مستقبل أسرتها غامضًا أيضًا. لقد قررت أن تعمل بجد حتى تحقق للأسرة السعادة المنشودة.

الندم على الأسف

بعد جنازة صديقتي " فاليري"، أذهلني عدد الذين جاءوني ليعبروا عن امتنانهم للنعي الذي قمت بنشره. لكنني اكتشفت أن ما كان جميعهم تقريبًا يودون قوله هو أنهم آسفون حقاً لأنهم لم يعبروا " لفاليري" عن مدى حبهم لها عندما سنحت الفرصة لهم بذلك.

إن أحد المواقف الأكثر صعوبة والتي يمكن أن تظهر بعد الموت إنما هو محاولة التعبير عن مشاعر الندم والأسف. عندما كنت أنا و"جاك" في رحلة عمل بأوروبا اتصل بنا الطبيب الجراح الذي كان يعالج والدتي. كان اتصاله غير متوقع ولكنه أبلغنا أن والدتي لابد أن تخضع لعملية جراحية في ركبتها.

بعد أن خرجت والدتي من العملية، جلست تتجاذب أطراف الحديث مع أبي، ثم تناولت وجبة خفيفة. لكن أثناء الليل، انتقلت "جلطة " دموية من ركبتها واتجهت نحو المخ. بعد أن اتصل بنا الجراح لينقل لنا الخبر، اتصلت بي شقيقتي "ديلا " وقالت وهي تبكي :

- سوزي ... سوف أضع السماعة على أذن أمي ... أعتقد أنها يمكن أن تسمعك .. أعتقد أنك تحتاجين إلى أن تقولي لها ... وداعًا ...

بكيت أنا أيضًا، وكان "جاك" يحضنني بكلتي يديه بقوة، وقلت :

- أمي ... أحبك ... أحبك .. وأعرب لك عن أسفي لأنني لم أشكرك على كل شئ .. على كل شئ فعلتيه من أجلي ... لم أشكرك بالقدر الكافي من قبل ..

عندما وصلت أنا و"جاك" إلى المستشفى كانت لا تزال أمي هناك نائمة على سريرها وسط كم كبير من الآلات الطبية وعيناها مغلقتان، وكان يبدو أنها قد ماتت فعلاً، أما أبي فكان يجلس على كرسي في أحد الأركان في سكون تام وقد أخذه الذهول. استمرت صلاتنا لمدة ثلاثة أسابيع. بعد ذلك عادت إلى المنزل. لقد كانت مختلفة تمامًا. لم يكن هناك قرارات يمكن أن نتخذها، ولم نقل شيئاً سوى أنها امرأة "مكافحة" وقوية.

اليوم، وقد بلغت والدتي سن الثمانين من العمر، عادت لتلعب التنس، ودائمًا ما تقول للجميع :

- إن ركبتي تجعلان مني امرأة خارقة ...

إن طريقة ١٠- ١٠- ١٠ تساعدنا على الوقاية من الأسف والندم. إنني أعرف الآن كيف يمكن أن يكون الوداع صعبًا خاصة عندما تحيى وتتخذ قرارات وكأنك لن تقول أبدًا .. وداعًا. أشكرك يا أمي .. على ذلك أيضًا.

من داخل جعبتي

ذات يوم من أيام الصيف، عندما كان أطفالي صغار السن، ذهبنا إلى الشاطئ مع شقيقتي الكبرى " إيلين" وصديقتي " لوري". في ذلك الوقت كان أبناء شقيقتي في سن المراهقة، وكانت " لوري" حاملاً للمرة الأولى. كانت المرأتان تختفيان تحت الخيمة لكي تتجاذبا أطراف الحديث. أما أنا فوقفت على الشاطئ وأنا أشعر وكأنني سأصاب بأزمة قلبية لأنني رأيت الأطفال وهم يمرحون وسط أمواج عالية ومتلاطمة فقلت لنفسي : " لابد أن أحدًا سيموت .. إن أحد أطفالي سوف تجرفه مياه البحر .. وسأذهب خلفه لإنقاذه .. ثم أموت أيضًا ".

استطعت بعد ساعة تقريبًا أن أقنع الأطفال بالخروج من الماء، فجاءوا ليجلسوا بالخيمة، وجلست بمفردي وأنا شاردة الذهن. أحاول أن ألملم أعصابي. فنظرت"لوري" إلي وقالت :

- ما بكِ ؟ ..

فقالت لها شقيقتي :

- دائمًا ما تصاب سوزي بالقلق عندما يخيل إليها أن أطفالها سيغرقون ...

فصرخت في وجهها قائلة ...

- ألا تذكرين ؟ ..

ضحكت " آيلين" وقالت :

- أتذكر كل شئ أيضًا ... لكن لا تقلقي .. سوف تجلسين على الشاطئ تقرئين الجريدة قبل أن تعرفي ...

فقلت لها ..

- لن أعرف كيف ... لن أجد وقتاً لقراءة أي كتاب لأربع سنوات ...

أوصتني " لوري" بقراءة الشعر، ووعدت بأن ترسل لي دواوين كثيرة. وللآن لا أزال أعترف بامتناني لها لأنني قد تعودت فعلاً على قراءة الشعر. وكنت أقرأ دائمًا أشعارًا كثيرة إلى أن تمكن أطفالي من تعلم السباحة.

في تلك الفترة، قرأت قصيدة وهي إحدى أشعار"مارلين نلسون" الجميلة. لقد كانت "لوري" على حق. لقد عرفت وفهمت فعلاً أنني لست الوحيدة في العالم التي تحس بالسخرية "الحلوة المرة " للأمومة : وهي عندما نهب أبناءنا الحياة، فإننا أيضًا نهبهم الأخطار والضياع والإحباط. إننا جميعًا نحيى، وجميعًا نموت، وبينهما تتوفر لنا القدرة على أن نقرر .. كيف؟